نشأة اللغة العربية والخط العربي قبل الإسلام

الدكتور
حسين عبد الباسط
قسم اللغة العربية واللغات الشرقية
كلية الآداب
جامعة الاسكندرية

١٩٨٤

نشأة اللغة العربية والخط العربي قبل الاسلام

ان نشأة اللغة العربية وخطها موضوع يتكون من أفكار رئيسية ، وأخرى فرعية ، ولو أردنا أن نتحدث عن الأفكار الرئيسية والفرعية لطال بنا الحديث ، ولهذا نكتفي بالتركيز على الأفكار الرئيسية ، وهي كما يأتي :

١ ـ آراء العلماء العرب ونظرياتهم في نشأة اللغة العربية .
٢ ـ صلة اللغة العربية باللغات السامية .
٣ ـ نشأة اللغة العربية .
٤ ـ نشأة الخط العربي .

وها نحن أولا نستعرض آراء العلماء والدارسين في كل فكرة من الافكار الرئيسية السابقة لنرى أيها اكثر قربا من الصواب .

آراء العلماء العرب ونظرياتهم فى نشأة اللغة العربية :

اللغة أصوات خاصة ينقل المتكلم بوساطتها ما يدور فى ذهنه من معان وأفكار ، وقد اختلف الباحثون واللغويون قديما وحديثا فى نشأتها ، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وضعوا نظريات متعددة منها التوقيف أو الالهام ، ومنها التواضع والاتفاق ، ومنها محاكاة أصوات الطبيعة ، ومنها الغريزة الخاصة البحتة ، ويحسن بنا أن نتناول النظريات السابقة بشئ من التفصيل لنرى أيها أكثر قربا من المنطق والواقع .

١ ـ التوقيف أو الالهام : يرى فلاسفة اليونان القدماء وعلى رأسهم هيراكليت أن الله ألهم الانسان اللغة وعلمه النطق بأسماء الأشياء ، وقد سار على نهجه بعض الباحثين الغربيين وفى مقدمتهم الأب لامى فى كتابه "عن الكلام" والفيلسوف دوتا لفى كتابه "التشريع القديم" (١) وقد اعتمد هؤلاء القدماء والمحدثون على ما ورد فى سفر التكوين " أن الإله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول ، وجميع طيور السماء ، ثم عرضها على آدم ، ليرى كيف يسميها ، وليجعل كل منها الاسم الذى يضعه له الانسان - فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات الداجنة ولطيور السماء ودواب الحقول " (٢) .

والنص السابق لا يدل على شئ مما يقوله أصحاب هذه النظرية بل يكاد يكون حجة عليهم لا لهم .

وأما المفسرون والفقهاء واللغويون العرب القدماء وعلى رأسهم ابن عباس والأشعرى وأحمد بن فارس وأبو على الفارسى وابن جنى فقد قال بعضهم بالتوقيف ، وقال بعضهم الآخر بالتوقيف تارة ، ثم عدل عنه تارة أخرى ، ولهذا يجدر بنا أن نستعرض أقوالهم ، ونتناولها بشئ من التحليل ، لنرى ما اعتمدوا عليه من حجج وبراهين فى اثبات تلك الأقوال .

---

(١) الدكتور على عبد الواحد وافى : نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، ص ٢٢ ، ط ، القاهرة ١٩٤٢ م .

(٢) نفس المؤلف : علم اللغة ص ١٠ ، ط ، القاهرة ١٩٦٢ م .

أما ابن عباس فقال : " علم الله عز وجل آدم عليه السلام أسماء ولده انسانا انسانا والدواب قيل : هذا الحمار ، وهذا الجمل ، وهذا الحصان ، وعلمه تعالى دال على أنه الواضع دون البشر ، وأن وصولها بالوحي الى آدم عليه السلام "(١) .

وأما الأشعري فقد قال : ان لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله تعالى " وعلم آدم الاسماء كلها " فقال جماعة علمه أسماء الملائكة ، وقال آخرون علمه أسماء ذريته أجمعين "(٢) .

وقال ابن فارس في موضع آخر " فان قال : أتقولون في قولنا سيف وحسام وعضب الى غير ذلك من أوصافه : انه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه ؟ قيل له كذلك نقول ، والدليل على صحة ما نذهب اليه اجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلحنا على لغة اليوم ولا فرق "(٣) .

اذا نظرنا الى النص السابق وجدناه ضعيفا لا يصلح أن يكون دليلا قويا على توقيفية اللغة ، لان احتجاج العلماء بلغة العرب الاوائل وأشعارهم ، وعدم احتجاجهم بلغة اليوم مرجعه سلامة اللغة عند أولئك ، ونقاوتها واحتفاظها بأصولها ، وعدم اختلاطها بغيرها من اللغات ، وتأثرها بها .

أما ابن جني فقد رأيان في نشأة اللغة أولهما يقول فيه : وانضاف الى ذلك وارد الاخبار المأثورة بأنها من عند الله عز وجل ، تقوى في نفس اعتقاد كونها توقيفا من عند الله سبحانه وتعالى ، وأنها وحي "(٤) .

---

(١) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ، ص ٦ ط. حيدر آباد ١٣٥٩ هـ .

(٢) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ص ٥ ، ط. القاهرة ١٩٥٢م .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٦ .

(٤) ابن جني : الخصائص ١/٤٧ ، ط. القاهرة ١٩٥٢م .

والرأى الثانى يقول فيه : ان أبا على الفارسى رحمه الله قال لى يوما هى من عند الله ، وأحتج بقوله سبحانه وتعالى " وعلم آدم الاسماء كلها " وهذا لا يتأول بوضع اللغات ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى لا محالة ، فاذا كان هذا محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به ، وقد كان أبو على رحمه الله قد قال فيه فى بعض كلامه على أنه لم يتسع قول من قال : انه تواضع منه على أنه قد فسر هذا بأن قيل : ان الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم ان ولده تفرقوا فى الدنيا ، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات فغلبت عليه ، وأضحل عنه ما سواها لبعد عهدهم بها (١) .

اذا نظرنا الى رأى ابن جنى الاول نجده يعطل ذهنه ، ويسلم بالاخبار المأثورة التى نقلت اليه أن اللغة توقيف ، ويشاركه أستاذه ابو على الفارسى فى هذا الرأى الا انهما فى رأيهما الاخيرين يحاولان ان يخرجا الآية " وعلم آدم الاسماء " تخريجا يبعدها عن أن تكون دليلا قاطعا على توقيفية اللغة ، ويجعلان معناها أن الله أقدر آدم على الوضع أو أن ولد آدم لما كثر عددهم ، وتفرقوا تركوا اللغة الموقوفة ووضعوا لغاتهم التى عرفت فيما بعد .

بعد أن استعرضنا كل الاراء التى قيلت فى توقيفية الله عند العربيين وباحثى العرب وجدنا أن أدلتهم النقلية بعضها يحتمل التأويل ، وبعضها يكاد يكون دليلا عليهم لا لهم ، لانهم يصدرون آراءهم عن تدين ووقفة فى أن يكون الله موجد كل شئ ، وسبب جميع الظواهر ، وخالق الناس وألسنتهم وطباعهم .

---

(١) عبده الراجحى : فقه اللغة فى الكتب العربية ، ص ٩٧ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٤ م .

٢ - التواضع والاتفاق : يرى أصحاب هذه النظرية من فلاسفة اليونان القدماء وعلى رأسهم "ديموكريت" أن اللغة ابتدعت ، واستحدثت بالتواضع عليها فوارتجال ألفاظها (١) .

وقد أيد هذه النظرية وسار على نهجها بعض علماء المسلمين ، ومنهم الأخفش وابن جنى وابن خلدون وغيرهم ، أما الإخفش فيقول " ان اللغة لم توضع كلها فى وقت واحد بل وضعت متلاحقة متعاقبة " (٢) .

وهذه العبارة ليست صريحة فى القول بالتواضع والاصطلاح فحسب بل هى أبعد من ذلك وهيا وفهم ما بطبيعة اللغة التى تقضى بأنها ولدت حاجة اجتماعية ضرورية .

وأما ابن جنى فيقول " يرى أكثر أهل النظر أن أصل اللغة تواضع واصطلاح لا وحى وتوقيف كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون الى الابانة عن الاشياء المعلومات فيضعون لكل واحد منها سمة ولفظا اذا ذكر عرف به مسماه ليمتاز به عن غيره وليغنى بذكره عن احضاره الى مرآة العين ، فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تكلف احضاره لمبلغ الغرض من ابانة حاله " (٣) .

واذا نظرنا الى الكلام السابق وجدناه لا يتفق مع التفكير العلمى السليم ، لان التواضع على التسمية يتوقف فى كثير من مظاهره على لغة صوتية يتفاهم بها المتواضعون اذن فما يجعله ابن جنى منشأ للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل .

وأما ابن خلدون فيقول وهو يتحدث عن لغة التخاطب " وهى مع ذلك تختلف باختلاف لغة الامصار فى اصطلاحاتهم فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشىء للغة أهل

---

(١) على عبد الواحد وافى ، نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، ص ٢٤ ، ط. القاهرة ١٩٤٢ م .

(٢) السيوطى : الاقتراح فى علم أصول النحو ، ص ٨ ، حيدر آباد ١٣٥٩ هـ .

(٣) ابن جنى : الخصائص ١ / ٤٤ ، ط. القاهرة ، ١٩٥٢ .

المغرب ، وكذا أهل الاندلس بعضها ، وكل ضبط متوصل بلغته الى تأدية مقصودة والابانة عما في نفسه " عبارة (عن اصطلاحاتهم) تعني هنا استعمالاتهم والاستعمالات هنا من وضع الأمصار ، وهو على هذا النحو قائل بالاصطلاح او التواضع في اللغة .

وكان لهذه النظرية دعاة في العصر الحديث من الفلاسفة والباحثين الغربيين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر " آدم سميث وايد ، وهوجلد وستيورات "(١) .

يتضح لنا مما سبق أن هذه النظرية تفتقر الى سند عقلي مقبول ، أو حقيقة تاريخية معتمدة ، وهي فيما تقرره تعارض القوانين العامة التي تسير عليها النظم الاجتماعية ، وهذه النظم لا تخلق من العدم ولا ترتجل ارتجالا بل تتدرج في وجودها شيئا فشيئا من تلقاء نفسها حتى تستوي نظاما ناضجا مكتملا ".

٣ ـ محاكاة أصوات الطبيعة : ذهب بعض فلاسفة اليونان القدماء الى أن اللغة نشأت من تقليد أصوات الطبيعة ، وأصوات الحيوانات ثم تطورت هذه المحاكاة بتطور عقل الانسان وحضارته ، وحاجاته واستوت على شكل لغة يستخدمها في أغراضه المختلفة .

وقد سار على هذه النظرية بعض اللغويين العرب القدماء والمحدثين فمن القدماء الخليل بن احمد وابن جني ومن المحدثين الرافعي وياقي ، أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد ذكر ذلك في كتاب العين . وأما ابن جني فقد قال في الخصائص : " ذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات المسموعات كدوي الريح ، وخرير الماء ، ونهيق الحمار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونحو ذلك ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا هذي وجه صالح ومذهب مقبول "(٢) .

وأما مصطفى صادق الرافعي فيقول : وأقرب ما يصح في الذهن أن الأصوات الحيوانية هي المثال المحتذى في لغة الانسان ، لانها محيطة به تتقلب على سمعه كلما سمع ،

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ٤٩٢ ط . القاهرة ١٩٣٠م .
(٢) جورجي زيدان : الفلسفة اللغوية ١٣١ ط . القاهرة ١٩٤٠ .
(٣) ابن جني : الخصائص ١/٤٦ .

خصصا بالانسان فى أول اجتماعه مضطرا الى مماثلة الحيوان فهو بهذا الاضطرار يتدبر اختلاف هيئات الصوت الواحد ، ومعانى ما فيه من التغير ، ودليله فى ذلك أفعال الحيوانات التى تؤدى معانى هذا الاختلاف من نحو الغضب والالم والذعر» ويواصل الرافعى شرح وجهة نظره منتهيا الى قوله : «وهذه الحالة كانت بدء اختراع اللغة فلما بدأ الاجتماع برغبى بنسبة أحوال الناس بدأ الاختراع الحقيقى فى اللغة»(١) .

وأما الدكتور على عبد الواحد وافى فقد وقف فى بداية أمره من هذه النظرية موقفا محايدا حيث أعلن أنه " لم يقم أى دليل يقينى على خطئها وكذلك لم يقم أى دليل يقينى على صحتها ، وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها ، وانما يقرب تصورها ويرجح الأخذ بها "(٢) .

ثم نراه بعد ذلك مناقشا الرأى الآخذ بهذه النظرية واقامة الادلة على صحتها ، فيقول : ومن أهم أدلتها أن المراحل التى تمر بها لغة الطفل تتفق فى كثير من وجوهها بمراحل الارتقاء اللغوى عند الطفل . فالطفل فى المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ فى تعبيره الارادى الى محاكاة أصوات الطبيعة ، ومن أدلتها كذلك أن ما تمر به بعض خصائص اللغة الانسانية فى مراحلها الاولى يتفق مع ما نعرفه من خصائص اللغات فى الامم الاولية ، ففى هذه اللغات تكثر المفردات التى تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه»(٣) .

بعد أن استعرضنا كل الآراء السابقة لهذه النظرية يتضح لنا أنها تجمع على أن اللغة نشأت من تقليد الاصوات الطبيعية ، وقد حاول الدكتور وافى أن يقيم الادلة على صحة رأيه الثانى ، وآراء سابقيه فأرجع لنا ذلك الى دليلين الاول لغة الطفل ، والثانى لغة الامم الاولية .

---

(١) الرافعى : تاريخ آداب العرب ١/٤٨ ط٨ القاهرة ١٩٤٠ م .

(٢) وافى : علم اللغة ص ٩٦ .

(٣) الدكتور على عبد الواحد وافى : علم اللغة ص ٩٧ .

أما لغة الطفل فلا يمكن أن تقارن بلغة الانسان الاول لأختلاف الظروف والوسائل صحيح أن الطفل ينطق أولها ينطق بأصوات مبهمة تتعين شيئا فشيئا كلما نمت مداركه الا أنه يقلد منذ الصوت الاول لغة موجودة حوله غير أن الانسان الاول لم يكن كذلك فالتطور الذي حصل بعد الاصوات الاولى تطور مخترع لم يعتمد على التقليد ، وذلك لعدم وجود لغة أخرى يقلدها .

وأما لغة الامم الاولية فنجد كثرت فيها المفردات التي تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه الا أنها لا تزيد على نسبة ضئيلة بالقياس الى مجموع مفردات تلك اللغة ، واذا شئنا أن نطبق ذلك على اللغة العربية مثلا فلا نجد غير خرير وصهيل ونعيق ونحيب وكلمات أخرى لا يمكن أن تعبر عن اصل نشأة اللغة .

واذا نظرنا الى موقف ابن جني من النظريات الثلاث السابقة وجدناه مترددا في الاخذ بواحدة منها ومتنقلا بينها ، فبعد ان قال بنظرية التوقيف والالهام في موضع عدل عنها في موضع آخر ، ثم قال بالتواضع والاصطلاح ، ثم رجع الى محاكاة أصوات الطبيعة وانتهى به الامر الى عدم الاخذ بواحدة من النظريات الثلاث ، وأثر الوقوف حتى تأتيه الحجة القوية التي تجره الى الاخذ بمذهب من مذاهب نشأة اللغة .

٤ ـ الغريزة الخاصة الموحدة : يقرر أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت بفضل غريزة خاصة كانت موجودة عند جميع الافراد منذ بدء الخليقة ، وهي التي حملتهم على التعبير عن مداركهم الحسية والمعنوية بالالفاظ الخاصة ، ولهذا توحدت المفردات اللغوية الاولى ، وتشابهت طرائق التعبير ، وتماثلت الجماعات ، وبعد أن نضجت اللغات المختلفة أهمل الانسان هذه الغريزة فانقرضت فيه كما انقرضت غرائز أخرى .

ولا نجد عند اللغويين العرب القدماء مثل أبي علي الفارسي وابن جني والاخفش والسيوطي نصا صريحا يشير الى هذه النظرية الا ما يمكن أن يستشف من تفسيرهم لقوله تعالى " وعلم آدم الاسماء كلها " .

أما ابن جني وأستاذه أبو علي الفارسي فقد قالا : " ان الله أقدر آدم على أن واضع عليها " (١)

---

(١) ابن جني : الخصائص ١/ ٤٠

وأما ابن فارس فقال : " ان اللغة لم تأت جملة واحدة ، وانما أوقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج الى علمه في زمانه ، ثم علم بعد ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الانبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلمه حتى انتهى الامر الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأتاه الله من ذلك ما لم يؤته أحدا قبله تاما على ما أحصته من اللغة المتقدمة ، ثم قصر الامر قراره ، فلا نعلم لغة من بعده حدثت فان تعمل اليوم فمعلوجد من نقاد العلم من يثبته ويرده " (١) .

وأما الأخفش فقال : " ان لغات العرب وضع منها شيء أولا ، ثم تتابع الوضع ولاحق " (٢) .

وأما السيوطي فيقول : واختلف في هذا هل وصل الينا علمها بالوحي الى بعض أنبيائه ، أو يخلق أصوات في بعض الاجسام تدل عليها واسماعها لمن عرفها ، وفهمها أو يخلق العلم الضروري في بعض العباد بها " (٣)

واذا نظرنا الى النص السابق اتضح لنا أن السيوطي قد أشار الى هذه النظرية اشارة صريحة عندما قال يخلق الاصوات في بعض الاجسام وكذلك يخلق العلم الضروري في بعض العباد ، لان أصحاب هذه النظرية يرون أن هذه الغريزة كانت تحمل كل فرد على التعبير فكان كل فرد مزودا بعلم التعبير والكلام (٤) .

ولقد شاعت هذه النظرية بين المحدثين الغربيين وعلى رأسهم ماكس مولر الذي يقول في تأييدها : " اني اعتمدت على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الاوروبية ، وظهر لي أن مفردات هذه اللغات جميعها ترجع الى خمسمائة أصل مشترك ، وان هذه الاصول مثل اللغات الانسانية في أقدم عهودها ،

---

(١) ابن فارس : الصاحبي ص ٦
(٢) ابن جني : الخصائص ص ٤٠
(٣) السيوطي : الاقتراح ص ٦ ـ ٧
(٤) علي عبد الواحد وافي : نشأة اللغة عند الانسان والطفل ص ٢٦ .

وتبين لي من تحليل هذه الاصول انها تدل على معان كلية ، وأنه لا تشابه مطلقا بين أصواتها ، وما تدل عليه من فعل وحالة " (١) .

ولو أمعنا النظر في الاراء التي ذكرها العلماء والمفسرون لاتجاه هذه النظرية لوجدناها تضعفها من ناحية ، وتبعدها عن سنة النشوء والارتقاء من ناحية أخرى ، اما اضعافها فيتمثل في قولهم بوجود هذه الغريزة التي تنطق الانسان بلغة ما ، والواقع ان الانسان ليس في حاجة ماسة الى هذه الغريزة التي تمكنه من النطق ، لانه خلق مزودا بأعضاء النطق منذ بدء الخليقة ، وأما ابعادها عن سنة النشوء والارتقاء فيبدو واضحا فيما يذكره ماكس مولر من أن الاصول الخمسمائة تمثل اللغة الانسانية الاولى ، وأنها تدل على معان كلية ، والواضح أن المعاني الكلية لا تتأتى للانسان في طور النشوء والارتقاء وانما ادراكها يحتاج الى درجة عقلية راقية .

بعد أن استعرضنا كل الاراء والنظريات التي قيلت في نشأة اللغة لم نجد فيها نظرية تعتمد على التفسير العلمي الذي يعتمد على المعرفة الدقيقة لسنن الظواهر الاجتماعية وكيفية نشأتها وتطورها ، لان اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من تلك الظواهر ، فالانسان لم يفكر كيف يتكلم كما لم يفكر كيف يمشي او كيف يأكل ، وانما انطلق في محاولة هذه الامور تلقائيا بدون مقدمات ، لان حاجته الفطرية الى الاجتماع بغيره والتفاهم وتبادل الاراء والافكار هي التي أوجدت هذه اللغة ، وحركت لسانه بأصواتها الأولى .

اذن فاللغة تنشأ أصواتا مبهمة يتكون كل صوت منها من مقطع واحد طويل ، ومرور الزمن يتطور الصوت الى مقطعين يستطيع الانسان أن يعبر بهما عن بعض حاجاته ، وبعد أن يكثر الانسان وتتشعب حاجاته يتطور الصوت الى ثلاثة مقاطع ، وبهذا التطور تأخذ اللغة الانسانية شكلها النهائي .

---

(١) ميرخواند : روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفا ٢٦٩ الهند ، ١٢٦٦ هـ .

وعندما يكثر عدد الناس ، ويضيق عليهم موطنهم الاصلي يضربون في الارض طولا وعرضا ، وينقسمون أثناء ذلك الى جماعات تستقر في بيئات متباينة .

وقد تفرض هذه البيئات على لغة هذه الجماعات نوعا من التغيير الذي يتوالى بمرور الزمن حتى يجعل لكل جماعة لغة خاصة بهم ، الا أن هذا التغيير لن يقطع صلة هذه الجماعات بلغتهم الانسانية الاولى ، وبذلك تتكون المجموعات اللغوية وهي السامية والحامية والهندية الاوربية والطورانية وغيرها ، وقد تتشعب كل مجموعة منها الى لغات ولهجات بنفس الطريقة التي تشعبت بها اللغة الانسانية الاولى .

صلة اللغة العربية باللغات السامية :

في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أطلق عالم يهودي يدعى يوحنا ابن قريش على العرب والاحباش والبابليين والاشوريين والكنعانيين والاراميين اسم الشعوب السامية ، وقد اعتمد في هذه التسمية على ما ورد في سفر التكوين من " أن أشور وآرام وعابرا ... الخ كانوا جميعا من ابناء سام بن نوح عليه السلام "(١) .

ولم تنتشر هذه التسمية على نطاق واسع الا في نهاية القرن الثامن عشر الهجري الثامن عشر الميلادي ، عندما أخذ يرددها العالم النمساوي اوجست لودفيج شولتسر August Ludwing Schloetzer في تحقيقاته عن الامم الغابرة ، وأخذ أيشهورن Eichhorn هذه التسمية ، وسعى في تعميمها بين العلماء عنا على الشعوب المذكورة آنفا .

ومن الجدير بالذكر أن لغات هذه الامم تتشابه في اكثر من نقطة رئيسية ، فالالفاظ المتداولة بينها تمثل نسبة ضخمة في ثروتها اللغوية ، ومخارج الحروف التي تميز هذه العائلة ولا توجد في غيرها ، وصيغ الصرف التي تتفرع بها الكلمات من المادة الواحدة تجري في كل هذه اللغات على خطة لا تختلف في جوهرها ، وهو أمر ان دل على شيء فانما يدل على أن وراء هذه اللغات التي تسمى سامية لغة واحدة

---

(١) سفر التكوين ـ الاصحاح العاشر ٢١ ـ ٣١ .

اندثرت في العصور السابقة على التاريخ .

ولما كانت نظرية الاسر اللغوية تفترض وحدة الاصل العرقي للامم الناطقة بألسن من أسرة واحدة تساءل العلماء عن الموطن الاصلي لهذا الشعب السامي الاول الذي تفرعت منه الشعوب السامية .

وقد ذهب العلماء في الجواب على هذا السؤال مذاهب شتى ، وأوا آراء متعددة ، فذهب نفر منهم الى أن افريقية هي الموطن الاصلي للساميين ، ورأى جماعة انه سوريا ، وقال فريق : انه مرتفعات كردستان ، وزعم رهط انه اقليم بابل ، بينما زعم قوم آخرون الجزيرة العربية واعتبروها أول موطن للساميين .

ويجدر بنا أن نناقش كل رأى من الاراء السابقة ، لنرى أيها اكثر اعتمادا على الوثائق التاريخية الصحيحة .

أما أصحاب الرأى الاول فقد اتفقوا على أن افريقية كانت مهدا للساميين ، وبنوا رأيهم على وجود تشابه في الملامح كالشعر القدمين ، وشعر الرأس الصوفي ، وكبر الفكين بين الساميين والحاميين ، وعلى وجود تشابه بين اللغات السامية والحامية في بعض الاسماء والافعال .

لكنهم اختلفوا في تعيين المكان الذي نشأ فيه الساميون اول مرة في افريقية واختلفوا كذلك في الطريق الذي سلكوه الى الاماكن التي استقروا فيها بعد ذلك .

فذهب بارتن Barton (١) وجيرلاند Gerland (٢) الى أنه مصر وشمالي افريقيا ، ورأى برنتن Brinton (٣) أنه شمال غربي افريقية ،

---

(1) Barton (C.A.) Semitic and Hamitic Origins, Social and Religious, London, 1634.

(2) Enc. of Relig. and Ethics, Vol. II, p. 350.

(3) Brinton: Cradle of the Semitic, Philadelphia, 1690.

يرجع فليب حتى (١) الحبشة وشرقي افريقية موطنا للساميين .

وقد رجعنا الى آراء اكثر المؤرخين الذين أرخوا لهذه الحقبة فلم نجد فيها رأيا صريحا يبين لنا أن الساميين قد هاجروا من افريقية الى شبه الجزيرة العربية ، ولكن وجدنا آراء تاريخية كثيرة تعلن في جلاء تام عن هجرات متواترة قام بها الساميون من شبه الجزيرة العربية الى كل من مصر وشمالي افريقية وشرقيها .

أما هجرة الساميين الى مصر فكانت متواترة منذ الالف الثاني قبل الميلاد فأخذت وفودهم تترى على مصر من طريق شبه جزيرة سيناء ، ومن أهمهم العموريون والهكسوس (٢) الذين حكموا مصر حتى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد .

وأما هجرة الساميين الى شمالي افريقية فكانت متتابعة منذ القرن التاسع قبل الميلاد عن طريق قبرص والبحر الابيض المتوسط ، فأخذ الفينيقيون يهاجرون الى الساحل الشمالي لافريقية ويكونون مدنا ومستعمرات من أهمها المستعمرة الفينيقية عاصمتها قرطاجة (٣) .

---

(١) فليب حتى : تاريخ العرب تعريب الدكتور جبرائيل جبور ط٠ دار الكشاف بيروت ١٩٦١م .

(٢) أطلق عليهم المصريون اسم " حقا وخاسوت " بمعنى حكام البراري ، ثم حور الاغريق هذا الاسم الى هكسوس أي ملوك الرعاة ، وكان معظمهم من الاموريين الساميين ، وبقيتهم من الاريين ، وقد تمكن أحمس من طردهم في سنة ١٥٨٠ ق٠م تقريبا .

(٣) كانت قرطاجة اكبر المستعمرات الفينيقية ، وقد منذ القرن السادس قبل الميلاد امبراطورية واسعة امتدت من حدود ليبيا حتى جبل طارق ، وقد نازعت روما السيادة على البحر الابيض المتوسط ، واستمرت الحرب بينهما حتى انتهت بتدمير قرطاجة واحراقها على يد الرومان سنة ١٤٦ ق٠م .

* الدكتور محمد أبو الشامات صفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ص ٢٨٠ دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة .

وأما هجرة الساميين الى شرقى افريقية فكانت متواترة منذ القرن السادس قبل الميلاد عن طريق بوغاز باب المندب ، وكان من بين من هاجر الى هناك جماعة يسمون أنفسهم بالحبشات ، وقد تغلبوا على الكوشيين السكان الاصليين ، وسموا البلاد بأسمهم فعرفت بالحبشة ، وكونوا دولة أكسوم التى كانت تتكلم باللغة الجعزية السامية .

وهكذا عاش الساميون الحاميين فى افريقية ، واختلطوا بهم وصاهروهم ، وقد نتج عن هذا الاختلاط ، وتلك المصاهرة تشابها فى الملامح والصفات الخلقية كلون البشرة ، وشعر الرأس الصوفى ، وأخص القدميين ، وقرابة بين بعض اللغات السامية واللغة المصرية القديمة ، وبين اللغة الفينيقية واللغة البربرية ، وقضاء اللغة العربية الجنوبية على لغة الكوشيين فى شرق افريقية .

ويتضح لنا مما سبق أن معظم الادلة التى استند عليها أصحاب هذا الرأى أدلة ضعيفة لا سند لها من آراء تاريخية صحيحة ، وقد ظهر لنا بوضوح أن التشابه فى الملامح واللغة نتج عن هجرة الساميين الى افريقية لا عن نشأة الساميين فى افريقية .

وأما أصحاب الرأى الثانى ومن أشهرهم المستشرق الامريكى كلاى Clay (١) والمستشرقان الفرنسيان موريه وجورج كونتينو فيرين أن سوريا كانت الوطن الاصلى للساميين ، وقد بنوا رأيهم على أن الاسرة البابلية الاولى كانت أقدم موجه سامية خرجت من سوريه ، وأن الاموريين (٢) هم أصل الشعوب السامية ، وحاولوا أن يدعموا رأيهم بالتشابه الموجود فى بعض الاساطير والمفردات اللغوية بين البابليين الاول والاموريين .

وقد رجعنا الى آراء معظم علماء التاريخ المهتمين بدراسة هذه الحقبة فلم نجد بينهما الرأى الذى اعتمد عليه هؤلاء المستشرقون بل على العكس من ذلك وجدنا آراء كثيرة ترى أن الاموريين ليسوا اصلا للشعوب السامية ، وانما هم فرع منهم هاجروا من الجزيرة

---

(1) Clay (A.T) : Amurru, The Home of the Northern Semites, Pheladelphia 1909.

(٢) السومريون هم الذين سموا الاموريين بهذا الاسم أى أهل الغرب .

العربية في منتصف الالف الثالث قبل الميلاد (١) .

ووجدنا أيضا أن الاقليم السوري كان يعيش فيه سكانه الاصليون قبل وصول الاموريين اليهم بآلاف السنين ، وكانت لهم علاقات تجارية مع المصريين القدماء فكثيرا ما كانت تنشب الحروب بينهما .

ورأينا التاريخ أيضا أن البابليين الاول ليسوا أقدم جماعة سامية هاجرت الى العراق ، فقد سبقهم اليه الاكديون بخمسمائة سنة تقريبا ، وأن أحد ملوكهم الاول قد كتب عن أصله بأنه نزح الى العراق من شرقي الجزيرة العربية .

أما التشابه في الاساطير ومفردات اللغة فلا سبيل الى انكاره ، وهو يرجع الى أن الاموريين والبابليين الاول كانوا في بداية أمرهم شعبة واحدة تعيش في سوريا لها أساطيرها المشتركة ، ولغتها الواحدة قبل أن تنقسم الى قسمين .

وهكذا يتضح لنا مما سبق أن أصحاب هذا الرأي لم يعتمدوا فيما ذهبوا اليه على آراء علماء التاريخ ولهذا فان سوريا لا يمكن اعتبارها موطنا للساميين الاول .

وأما أصحاب الرأي الثالث فيرون أن سفينة نوح عليه السلام قد رست بعد الطوفان على الجودي من مرتفعات كردستان في شمال العراق ، ونزل منها نوح وأبناؤه الثلاثة سام وحام ويافث ، أما حام فطرده والده من هذا المكان لخطيئة فعلها ، وأما يافث فقد ترك هذه البقعة باختياره ، وهاجر الى بلاد بعيدة ليكون شعبا كثير العدد والعدة ، وأما سام فاستبقاه والده الى جانبه على الجودي ، لانه كان الابن الاثير الى قلبه .

وهذا الرأي مأخوذ برمته من سفر التكوين ، ومؤلف هذا السفر استقى معلوماته من أفواه الرواة ، وكثيرا ما كان ينقل الرواية ونقيضها دون أن يرجح أحداهما على الاخرى ،

---

(١) الدكتور عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، ٤٥٦ طبعة ثالثة ١٩٧١ — مكتبة الانجلو المصرية .

كما حدث ... روايتها التي نحن بصددها فقد رأيناه يذكر في موضع آخر أن الوطن الاصلي للساميين هو أرض بابل ، وإذا كنا نستقي معلوماتنا من هذا السفر فبأي الروايتين نأخذ ؟ .

ومن الجدير بالذكر أن روايات الرواة عن الطوفان مختلفة من نسج خيالهم ، فلا نستطيع ان نتخيل أن ذاكرات الشعوب تستطيع أن تحتفظ بأسماء البلاد التي استقر فيها أجدادهم الاولون منذ الاف السنين .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول : ان هذا الرأي ضعيف للغاية ولا يمكن الاعتماد عليه بأية حال من الاحوال ، لافتقاره الى الادلة اليقينية التي تعضده وتشد أزره .

وأما أصحاب الرأي الرابع فقد اتفقوا على أن اقليم بابل هو الوطن الحضاري الاول بينما اختلفوا في المكان الذي وجد فيه الساميون لأول مرة .

وها نحن اولاء نستعرض آراءهم ، لنرى أوجه اتفاقهم ومواطن اختلافهم :

أراد العالم الالماني فون كريمر Von Kremer سنة ١٨٧٥م أن يعرف الوطن الاصلي للشعوب السامية ، فأخذ يفتش ، وينقب في اللغات السامية علّه يجد لفظاً مشتركاً بينها ، وبعد اجراء العديد من الدراسات والمقارنات بين تلك اللغات وجد أن كلمة جبل موجودة في جميع اللغات السامية ، ثم أخذ يبحث عن البيئة التي كانت موطناً للجبل منذ أقدم العصور ، فوجد أن أنسب البيئات له هي الهضبة المركزية الآسيوية القريبة من منابع نهري سيحون وجيحون .

ثم أخذ يدرس تاريخ الساميين والوسائل التي كانوا يستعينون بها في معايشهم ، فوجد أن الجمل كان يلازمهم منذ فجر تاريخهم ، وأن اسمه مقترن باسمهم ، عند ذلك قرر أن كلمة جمل من بقايا اللغة السامية الام ، وأن موطن الساميين الاصلي هو تلك الهضبة المذكورة آنفاً .

وافق المستشرق الايطالي اجناز يو جويدي Ignazio Guidi
في سنة ١٨٧٩ م فون كريمر على أن الجبل كان موطن الساميين منذ أقدم العصور ، وأن الكلمة موجودة في جميع اللغات السامية ، لكن خالفه في الموطن الاصلي للساميين والجبل ، وجعله جنوب بحر قزوين بجنوب شرقية .

واتفق جويدي مع كريمر على أن الساميين قد هاجروا منذ أقدم العصور الى أرض بابل ، واستقروا هناك ، وأنهما اول موطن لحضارة سامية عرفها التاريخ ، وفي بابل عرفوا النهر وقد استخدمت هذه الكلمة فيما بعد في جميع اللغات السامية تقريبا (١) .

وفي نفس السنة كتب المستشرق الالماني فريتز هومبل Fritz Hommel
رسالة أيد فيها رأي كريمر وجويدي في كون بابل الموطن الحضاري الاول للساميين .

وبعد أن أقام الساميون في بابل زمنا طويلا وأسسوا فيها حضارتهم الاولى ، ضاقت بهم الارض ، أخذوا يرحلون عنها في أمواج متواترة في عصور ما قبل التاريخ متجهين في ذلك طريقين مختلفين أولهما نحو الخليج العربي ، ثم بلاد العرب ، ومن هناك عبروا بوغاز باب المندب الى شرقي افريقية وأما الطريق الثاني فاتجه الى الغرب شمالا وجنوبا حيث دخل الساميون سوريا وكنعان .

واذا نظرنا الى أوجه نظر أصحاب هذا الرأي وجدناها مبنية على أساس لغوي ، وان الباحث الدقيق لا يستطيع أن يقتنع بأوجه نظرهم ، وذلك للاسباب الاتية :

أولا : ليست هناك ادلة علمية يقينية تكشف لنا في جلاء تام عن الموطن الاصلي للجبل منذ أقدم العصور ، وقد رأينا كيف اختلف أصحاب الرأي الواحد في موطنه .

ثانيا : اعتبر جويدي أن معرفة معظم الشعوب السامية لكلمة نهر أساسا لرأيه في كون بابل أول موطن لحضارة الساميين الاول ، كما انه جعل كلمة نهر مقصورة على نهري دجلة والفرات ، ولو أمعن النظر في طبيعة الجزيرة العربية منذ العصر الجليدي لعرف أن بها أنهارا تماثل في طولها وعمقها دجلة والفرات او تزيد عنهما .

---

(١) الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١ / ٢٤٠ ، مكتبة النهضة - بغداد ، ١٩٧٦ م .

ثالثا : من الممكن أن نجمع بعض الالفاظ العامة في معظم اللغات السامية ، ولا تستطيع فرد تولاتها على أشياء وجدت في البلاد التي كانت في زعمهم موطنا للساميين الاول أو كانت موطنا لحضارتهم .

رابعا : ليس من الصعب بأي حال أن يجزم بأن هناك ألفاظا عامة مشتركة بين جميع اللغات السامية ، لان علماء النحو المقارن للغات السامية لم يستطيعوا حتى الان أن يحصوا احصاء دقيقا جميع مفردات اللغات السامية ، وذلك لان بعض هذه اللغات انقرض انقراضا تاما ، وبعضها الاخر انقرضت منه الفاظ كثيرة .

فهناك الفاظ موجودة عند جميع الساميين مثل جمل وخيل وعين وشيخ .. الخ ومع ذلك فليس لكل منها اسما عاما مشتركا في جميع اللغات السامية .

خامسا : كيف نتصور انتقال الساميين من أرض بابل الزراعية ذات الانهار الى بوادي الجزيرة العربية وصحاريها ، واستبدالهم حياة خشنة بحياة زراعية ؟ ان مثل هذا التصور يخالف المنطق والنظم الاجتماعية المتعارف عليها .

سادسا : ان تاريخ العراق قبل تفرع الساميين اليه معروف عن طريق الوثائق السومرية التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك ان هذا الشعب لم يكن ساميا ، وانه الشعب الاصلي في العراق ، وهو يختلف كل الاختلاف في العادات والتقاليد والسير عن الساميين .

بعد أن استعرضنا أوجه نظر أصحاب الرأي الرابع وناقشناها مناقشة علمية دقيقة اتضح لنا أن اقليم بابل لم يكن الموطن الحضاري الاول للساميين الأول .

وأما أصحاب الرأي الاخير ومن أشهرهم شبرنجر A. Sprenger وسايك Sayce وكارل بروكلمان Carl Brockelmann وكيتاني Caetani والويس موسل A Lois Musil فيرون أن مهد الساميين الاول هو شبه الجزيرة العربية وقد بنوا رأيهم على أدلة تاريخية كثيرة نذكر منها ما يأتي :

١ ــ يحدد معظم دارسى التاريخ موطن بعض الاكديين والبابليين والاشوريين الى العراق والاموريين والاراميين والكنعانيين والعموريين الى بلاد الشام ، والاحباش الى شرقى افريقية ، ولكنهم لم يذكروا حتى الان متى وصل الساميون الى الجزيرة العربية بجملتها موطنا لهم ؟

٢ ــ يذكر التاريخ أن الاكديين عندما ذهبوا الى العراق أخضعوا لسلطانهم السومريين سكانه الاصليين ، وأن الاموريين لما ذهبوا الى سوريا اخضعوا سكانها ، وكذلك الاحباش عندما عبروا بوغاز باب المندب الى شرقى افريقية سيطروا على الكوشيين هناك بينما لم يذكر لنا التاريخ أسم الشعب الذى كان يعيش فى الجزيرة العربية قبل وصول الساميين اليها .

٣ ــ ذكر السومريون على احد نقوشهم أن بلادهم كانت فى خطر دائم من جراء غارات القبائل السامية .

٤ ــ كتب سرجون الاول الاكدى من أصله فى نقش مشهور انه وعشيرته نزحوا الى العراق من قبله جزيرة العرب .

٥ ــ ان الاحداث التاريخية المتواترة تذكر أن سكان الصحارى والجبال الجدبة هم الذين يغيرون دائما على سكان السهول والبلاد المتحضرة رغبة منهم فى التحضر والاستمتاع بخيرات تلك السهول ، ولم ترد حادثة تاريخية واحدة يفهم منها أن سكان السهول والمدن المتحضرة كلفوا بالتنقل الى البادية أو يهاجرون الى الصحراء ليصبحوا بدوا ورعاة أبدا .

واذا نظرنا الى هذه الادلة التاريخية السابقة وجدناها أقرب الى الحقيقة لا مغمز فيها ولا طعن ، وتتسم بالقوة وتتفق مع المنطق السليم .

ومن الجدير بالذكر أن سام بن نوح عاش مع أبيه على الجودى الذى رست عليه السفينة ، وعاش أولاده معه وبعد وفاته فى هذا المكان أيضا ، وظلوا فيه جيلا

بعد جيل حتى ضاق بهم لكثرة عددهم ، فأخذوا يبحثون عن مكان تتوفر فيه وسائل المعيشة ، فبدوا وجوههم نحو أنسب الأماكن القديم ، فوجدوا أن الهلال الخصيب (العراق والشام) مأهولا بالسكان ، فتركوه ، وواصلوا سيرهم حتى انتهوا الى شبه الجزيرة العربية ، فوجدوها غير الحصون الجنوبية خالية من السكان تتوفر فيها وسائل المعيشة ، من أرض خصبة يكثر فيها الكلأ ، وآبار وعيون تنتشر في شتى ربوعها ، وأمطار غزيرة تتساقط على شتى أرجائها في جميع فصول السنة ، وأنهار كثيرة تجري في وديانها .

فأقاموا فيها قرونا طويلة وعمروا عديدة ينعمون بخيراتها الكثيرة ، ويستمتعون بجوها الرائع ، ثم أخذ هذا الجو يتغير تغيرا تدريجيا ابتداء من الالف العاشر قبل الميلاد ، غير أن هذا التغير لم يظهر بوضوح على طبيعة الجزيرة العربية الا في الالف الخامس قبل الميلاد .

وقد أدى هذا التغير الى تحركات داخلية من منطقة الى أخرى ، وهجرات خارجية الى مناطق الهلال الخصيب .

أما دوافع التحركات الداخلية فتتمثل في تفوق موارد الماء ، وتغير مناطق الكلأ ، وتسابق القبائل والعشائر الى استغلال هذه الموارد وأملاك تلك المناطق ، ومحاولة التحكم فيها كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ، وحرص اقواها بأسا وأكثرها عددا على توسيع مناطق نفوذها وحرياتها وأرزاقها على حساب غيرها ، وقد تصدت لها قبائل أخرى تدافع عن مواردها المائية وثرواتها الرعوية فنشبت بينهم معارك وحروب ، كانت تنتهي عادة بهزيمة القبائل الضعيفة التي تضطر الى ترك مواطنها المحلية باحثة عن مواطن أخرى عليها تجد فيها الامن والاستقرار .

ونجم عن هذه المعارك وتلك الحروب تباعد مواطن بعض القبائل عن بعضها الاخر ، واختلاف مصالحها الخاصة ، وتضارب حرية كل قبيلة مع حريات القبائل الاخرى ، وقد أدى ذلك الى فشل أبدى رؤساء القبائل عن توحيد كلمتهم داخل وحدات سياسية مستقرة تستطيع أن ترعى خطوات الحضارة الثابتة وتطورها وتنميها .

ولم تقتصر مظاهر التحركات الداخلية على وسط الجزيرة العربية وغربها وشمالها ، وانما امتدت سبباتها كذلك الى بعض المناطق الصالحة للاستقرار في الجنوب والشرق ،

تكثير ما أضعت مارعات الامراء الدلمونيين والجرهائيين واليثربيين القدامى الى استهلاك قوى سرعتهم وثارتهم ، بقصير أعمارهم وتشتيت بعض أهلها الى مواطن أخرى بالحجاز وما وراءه ، أو الى تجد على الرغم من قسوة بيئتها .

أما دوافع الهجرات الخارجية فللعلماء فيها رأيان ، أحدهما يمثله العالم الايطالي كيتاني ، والثاني يمثله المستشرق الويس موسل .

يرى كيتاني أن شبه جزيرة العرب كانت في العصر الجليدي تشبه الجنة في نضارتها وبهجتها ، غير أن الطبيعة قست عليها فحولت الغالبة ، فاستبدلت لها بالاراضي الخصبة رمالا وصحارى وبالانهار والعيون والابار جفافا وقحطا ، فضاقت مواردها ، ولم تعد كافية بحاجات سكانها ، فأخذ بعضهم يجوبون الصحارى والفيافي بحثا عن مواطن أخرى قد يتوفر فيها الخصب والنماء ، وبعد مزيد من السعي والترحال تمكنوا من الوصول الى الهلال الخصيب (العراق والشام) عند ذلك أخذت هجراتهم تتوى الى هناك على حقب متباعدة قد يفصل بين الواحدة والاخرى ألف عام تقريبا (١) .

بينما يرجع الويس موسل الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب الى عاملين هما الضغط السياسي ، وتغير الطرق التجارية ، وقد أدى الضغط السياسي الى الفرقة بين الاقاليم ، وكثرة التنازع والتناحر فيما بينها ، وشيوع الفتن والقلاقل بين صفوف أفرادها ، فانصرفوا عن مواصلة مشاريع التنمية وأهملوا موارد الري فغارت الارض ، وعم القفر ، وقلت الاقوات ، فشعر بعض السكان أن الارض قد ضاقت عليهم على الرغم من سعتها .

وقد أثر تحول الطرق التجارية تأثيرا بالغا على سكان المدن الواقعة على امتدادها ، فأصيبت بالكساد وعمها الفقر وانتشرت فيها المجاعات ، وشعر سكانها أن الارض قد ضاقت بهم لهوان تجارتهم وضيق أرزاقهم .

---

(1) Caetani, Studi della Historia Oriental, Vol, 1

نقلا عن الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي (٢٤٤/١) بغداد ، ١٩٢٦ م .

وأشتداد تأثير أحد العاملين السابقين او كلاهما قد دفع جماعات كبيرة من السكان الى ترك مواطنهم ، والهجرة الى مناطق أخرى يكثر فيها الماء وتكلأ فيحيا وجوههم شطر الهلال الخصيب في هجرات متتابعة .

ويرى الدكتور سليمان حزين أن رأى جرسل كل لرأى كيتاني ولا يتعارض معه ، لان النزاع بين القبائل وشيوع الفتن والقلاقل بين الافراد يشتد بعد ظهور القحط وجفاف الانهار وبوار الارض ، وكذلك الهجرات لا تبدأ عادة الا من المناطق المعرضة للجفاف .

ونحن نؤيد رأى الدكتور سليمان حزين ، فان الناس في أي بقعة من بقاع العالم اذا عاشوا في رخاء قلت بينهم الفتن ، واحتدت الاضطرابات ، فاذا حل الجفاف واستشرى القحط قلت الارزاق وازدادت الفتن فيفكر كثير من الناس في الهجرة الى أماكن بعيدة علهم يجدون فيها الأمن والرزق الوفير .

بعد أن استعرضنا دوافع الهجرات الخارجية وأسبابها ينبغي علينا أن نذكر نبذة قصيرة عن تحركات القبائل السامية وانتقالها من مكان الى آخر حتى وصولها الهلال الخصيب .

لقد دفعت عوامل الجفاف والقحط والنزاع والاضطرابات جماعات قبلية صغيرة الى التحرك في هجرات بطيئة متقطعة من الجزيرة العربية الى بوادي الهلال الخصيب ، وقد أقام بعضهم عند الترحال على تلك البوادي فاتخذ بأسها وطنا لهم بعض سكانها الأصليين .

---

(1) Alois Musil, Northern Negd, 308, New York 1928.

(2) Huzayyin, (S.A), Arabia and the Far East, Cairo, 1942, 3 F.

بينما لم يتمكن بعضها الاخر من الاقامة في أي بقعة من تلك الوادي الا بعد تغلبهم على سكانها الاصليين وقهرهم ، وقد شجع نجاح هذه القبائل المهاجرة في الاقامة في مواطنها الجديدة بعض القبائل السامية الاخرى فأخذت تترى على تلك المناطق بين حقبة وأخرى .

وأخذت هذه القبائل السامية تستقر في أماكنها الجديدة ، وتعتمد في معيشتها على الرعي أزمنة طويلة ودهورا عديدة ، وفي أثناء ذلك تعلمت بعض عشائرهم أساليب الزراعة من جاورهم من سكان تلك الوادي .

وظلت تلك القبائل حقبا طويلة تعيش حياة رعوية زراعية حتى ازداد تعدادهم ، وكثر عددهم ، فكونوا اتحادات أصبح لبعضها بمرور الزمن زعماء أقوياء يشبهون - الى حد ما - ملوك بعض أقاليم الهلال الخصيب .

ثم أخذ هؤلاء الزعماء يتطلعون الى بعض أقاليم الهلال الخصيب ، ليعيشوا مع سكانها حياة وادعة مليئة بالخير والغنى ، فشرعوا يتهيزون الفرص للاستيلاء على بعضها ، فأغاروا عليها ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها ، وأقاموا على أرضها حكومات قوية .

ومن الجدير بالذكر أن نذكر رأي بعض المؤرخين في الهجرات السامية ، فقد قال بعضهم : ان هذه الهجرات خرجت من الجزيرة العربية كتلة متماسكة ، وأنها استقرت في الهلال الخصيب ، وعملت بالزراعة .

وقد رجعنا الى آراء معظم علماء التاريخ وجدناها ترجح أن القبائل السامية كانت تعيش في الجزيرة العربية متفرقة متناثرة تجوب الصحراء بحثا عن الماء والكلأ ، لاعتمادها على الرعي في معيشتها .

اذن فكيف تخرج متماسكة كتلة وهي لم تعرف هذه الكتلة ولا ذلك التماسك على أرضها الاصلية في الجزيرة العربية بعد الجفاف ؟ وكيف تعمل الزراعة بين سنة وأخرى وتغير على معيشتها وتهجر الرعي الذي تعودت عليه آلاف السنين ؟ .

يتضح لنا مما سبق أن الجزيرة العربية هي الموطن الاصلي للساميين جميعا ، وأن بعضهم قد هاجروا منها بعد أن أصابها القحط والجفاف وانتشرت منها الفتن والاضطرابات الى العراق والشام ، واستقروا هناك ، وكونوا دولا وأقاموا حكومات .

وبناء على ما تقدم نستطيع ان نقول : ان اللغة العربية الفصحى أقدم صورة حية من اللغة السامية الام ، وأقرب اليها من جميع اللغات التي تفرعت منها .

نشأة اللغة العربية :

اللغة العربية هي احدى اللغات السامية ، ويراد باللغات السامية تلك اللغات التي كان يتفاهم بها أبناء سام بن نوح عليه السلام ، وهم الذين كانوا يعيشون في القسم الجنوبي من غربي آسيا ، ومن أشهر هذه اللغات العربية والسريانية والحبشية (الجعزية) والعبرية والارامية والفينيقية (الكنعانية) والاكدية (البابلية والاشورية) ولم يبق منها حي حتى يومنا هذا الا الحبشية ، والسريانية والعبرية والعربية التي تعد أرقاها جميعا .

وقد انفصلت اللغات السامية عن أم مفقودة ، وكانت هذه اللغات في بدايات أمرها متشابهة ثم أخذت تتنوع وتتباين حتى قلت وجوه التشابه بينها الا ما يكون منها مشتركا فيحمل الدلالة التاريخية على وحدة الاصل .

ولم يتصد أحد للبحث عن اللغة العربية وآدابها قبل ظهورها على مسرح التاريخ المدون ، وذلك لقلة المواد المساعدة على ذلك ، وللاعتقاد أن العرب كانوا حتى في جاهليتهم الثانية يعيشون في عزلة صحراوية .

على أن الدراسات اللغوية المقارنة قد أثبتت بما لا يدع مجالا للشك أن اللغة العربية " ترجع الى أصول عريقة في القدم والاصالة فهي تعود الى زمان أبعد قدما من زمان اللغة الاكدية أي كان لها وجود حقيقي قبل الالف الثالث قبل الميلاد .

واللغة مرآة عقول أصحابها ومستودع آدابهم ، ولا يمكن أن يكون أصحابها قد دخلوا المدنية منذ قرنين فقط قبل الاسلام ، اذ لا يمكن لمثل هذه اللغات العريقة

أن تبلغ من مستوى تعدن ما بلغته اللغة العربية من خلالها وصل الينا من ألفاظها ومعانيها وأساليبها الا بتوالى القرون والدهور .

ونظرا لاتساع شبه الجزيرة العربية ، ونرامى أطرافها فقد تباينت لهجات سكانها فى العصور السحيقة تباينا كبيرا الا أنها لا تخرج فى جوهرها عن فرعين رئيسيين ، احدهما فرع الجنوب والاخر فرع الوسط والشمال .

فأما فرع الجنوب فيقصد به لهجات سكان جنوب شبه الجزيرة العربية وقد كان لكل اقليم لهجة ، " ومن أشهرها المسند لهجة اليمن ، والزبور لهجة حضرموت ، والرشق لهجة عدن ، والحويل لهجة مهرة ، والزفرقة لهجة الاشعريين "(١) .

وقد كان لقيام الدولة المعينية (٢) والسبئية (٣) والحميرية الاولى (٤) والثانية (٥) فى اليمن أثر فعال فى نشر لهجة اليمن "المسند" بين سكان سائر أقاليم الجنوب الذين أقبلوا على تعلم المسند ليوثقوا علاقاتهم بتلك الدول حتى ينالوا منها الحماية والرعاية والأمن .

ولم يكتف المعينيون والسبئيون والحميريون بذلك بل أخذوا ينشرون المسند فى وسط شبه الجزيرة وشمالها ، وذلك عندما أخذوا يمكنون بعض الطوائف اليمنية فى الحاضر التى بنوها على امتداد الطرق التجارية التى تخترق الجزيرة العربية من جنوبها حتى شمالها فاختلط سكان الحاضر بمن جاورهم من عرب وسط شبه الجزيرة وشمالها ، فنشروا بينهم المسند ، وقد أقبل الاعراب على تعلمه حتى تتسنى لهم الفرصة للاشتغال بالتجارة مع اليمنيين .

---

(1) Nicholson: A literary History of the Arabs Vol, 1 P 66 London, 1907.

(٢) الدولة المعينية ١٣٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م

(٣) الدولة السبئية ٨٥٠ ق.م - ١١٥ ق.م

(٤) الدولة الحميرية الاولى ١١٥ ق.م - ٣٠٠ م.

(٥) الدولة الحميرية الثانية ٣٠٠ - ٥٢٥ م .

" فلما ضعفت الدولة الحميرية الثانية واستعمر الاحباش اليمن ثم تلاهم الفرس أخذ السند ينحسر عن وسط شبه الجزيرة وشمالها شيئا فشيئا حتى زال قبل الاسلام بقليل ، ولم يبق منه الا بعض المفردات القليلة التي دخلت في لهجات الاعراب وجرت على ألسنتهم " (١) .

وأما فرع وسط الجزيرة وشمالها فيقصد به لهجات مضر وغيرها وقد أجمع علماء اللغة على أن اسماعيل - عليه السلام - كان أصل هذا الفرع ، وقد أشار الى ذلك صاحب المخصص قال : انما صارت لغة أهل الحجاز الاصل ، لان العربية أصلها اسماعيل الذي أضاف لهجة جرهم الثانية الى لهجة قومه ، فانطلق لسانه في مذهب أوسع منحنى وأوضح دلالة (٢) .

وبناء على هذا الرأي يكون أولى بهذا حقيق في لغة هذا الاقليم يرجع الى اسماعيل ، وفي هذا دليل على عراقة هذه اللغة ، لان اسماعيل يرجع تاريخه حسب تقدير بعض الباحثين الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، هذا بالاضافة الى أن تقبع اللغة على يد لسماعيل وقومه كان يمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية سبقتها مراحل أخرى ، فالمتأمل تتبع للغة العربية لابد انه قد تم على درجات من النشوء الزمني ، وان كان من التعذر الان ان نحدد هذه المراحل الاولى للغة العربية بأي وجه من الوجوه .

ولما كثر أولاد اسماعيل ، وتكونت منهم القبائل في وسط شبه الجزيرة تعددت طرق الوضع في اللغة بطول المدة وسعة الاستعمال وتقليب الكلام على وجوهه .

---

(١) الدكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/٣٠٨م ، مكتبة النهضة ببغداد ، ١٩٧٦ م .

(٢) ابن سيده : المخصص ١/٨٨ المطبعة الاميرية ١٣١٦ هـ ، القاهرة .

ومن أشهر القبائل التي كانت تسيطر على وسط شبه الجزيرة تميم في شرقي نجد ، وغطفان وسليم وغيرهما في نجد ، وأزدها تسيطر على مكة ، ومن القحطانية طيء في نجد ، وتدجج في أطراف الحجاز ، وربيعة في بادية العراق ، وكان لهذه القبائل لهجات يختلف بعضها عن بعض في معاني الالفاظ ونطقها ، وفي أساليب التركيب ، وذلك لاختلاف منازلها ومساكنها .

وكان لقريش دور كبير في تهذيب اللغة ، لانها تنزل في مكة وتشرف على الكعبة التي غدت قبل الاسلام بقرنين تقريبا موضع تعبد جميع العرب الذين كانوا يحجون اليها ويضعون فيها أصنامهم ، ويقدمون القرابين لها وكان القرشيون يسمعون لهجات هذه القبائل ، ويأخذون ما يستحسنونه منها فيدرجون به ألسنتهم ويجرون على قياسه .

وكان لهم رحلتان كل عام للتجارة احداهما رحلة الشتاء الى اليمن ، والاخرى رحلة الصيف الى الشام ، وكانوا يضربون في الارض الى فارس والحبشة فيسمعون مناطق الناس ، ويتناولون كثيرا من الفاظ تلك الامم ، فدخل لهجتهم كثير من الالفاظ الفارسية والحبشية والرومية والبربرية (السند) ، وقد أدى ذلك كله الى رقي لغتهم حتى صارت في آخر أمرها أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ .

" ولم يكتف القرشيون بذلك بل أقاموا سوقا في عكاظ وهي تخلف وادي بين مكة والطائف في سنة ٥٤٠ م بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة ، وكانت القبائل تتجمع في هذه السوق ، وتتجه منها الى الكعبة للحج والطواف ، وفي هذه السوق كان الشعراء يتبارون في انشاد أشعارهم فكما فضلوا بين كلثوم وغيره ، والخطباء يتفننون في القاء خطبهم ، كما صنع قس بن ساعدة الايادي وغيره " (١) .

وكان للنقد في هذه السوق دور هام في تجويد الخطب وتنقيح الاشعار ، فهذا هو ذا النابغة يضرب لنفسه قبة من أدم ليجلس فيها ويستمع الى الشعراء ليفاضل بينهم كما صنع مع الاعشى وحسان بن ثابت والخنساء وغيرهم .

---

(١) سعيد الافغاني : أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ٢٥٦ المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٦م .

ومن الجدير بالذكر ان الشعراء والخطباء كانوا يلقون قصائدهم وخطبهم بلهجة قريش ، وكان الحاضرون في هذه السوق يتعلقون بالكلمة السائرة ، والخبر المرسل لما ركب في طبائعهم من الفخر وحب المحمدة وما اتصفوا اليه من المباهاة بالفصاحة وقوة المعارضة ، وقرب ما بين اللسان والقلب .

وهكذا أصبحت لهجة قريش نواة للغة العربية الفصحى وظل القرشيون يداومون على اثراء لغتهم ونشرها حتى أصبحوا مجمعا لغويا يشد أزر اللغة ، ويرفع شأنها ، ويزيد ثروتها حتى بلغت أوج كمالها عند ما جاء الاسلام ونزل القرآن الكريم بها .

نشأة الخط العربي :

اختلف بعض الباحثين واللغويين والاخباريين العرب في نشأة الخط العربي ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، وبنوا نظريات متعددة منها التوقيفية والحميرية والنبطية ، ويجدر بنا أن نتناول هذه النظريات بشيء من التحليل لنرى أيها أكثر صحة ، وأقرب موردا الى الواقع من غيرها :

١ ـ النظرية التوقيفية : (١) (٢) (٣) (٤) (٥) يرى بعض اللغويين والاخباريين العرب مثل ابن فارس وابن النديم والصولي وابن عبد ربه والقلقشندي وغيرهم أن الخط العربي توقيف من الله سبحانه وتعالى ، ويستشهدون بقوله عز وجل " الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " ، ويرون أن المقصود بكلمة انسان هو آدم عليه السلام ، وأن المعنيّ بالقلم هو الخط العربي .

أما ابن خلدون فله رأي مغاير لما ذهب اليه بعض العلماء العرب السابقين حيث يقول : " اننا نجد اكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قراءته غير نافذة ، ونجد تعليم الخط في الامصار الخارج عمرانها

---

(١) ابن فارس : الصاحبي في فقه اللغة ص ٧ـ٨
(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٢ـ١٣ ، المطبعة التجارية الكبرى بمصر .
(٣) الصولي : أدب الكاتب ١/ ٢٨ ، ط. القاهرة ١٩٢٢ م .
(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٤/ ٢١٢ ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٥٢ م .
(٥) القلقشندي : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ٣/ ٢ ، ط. القاهرة .

عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل لاستحكام الصنعة فيها (١)

اذا نظرنا الى النص السابق وجدنا أن ابن خلدون يربط بين الخط والتقدم الحضاري ، فكلما كان الشعب بدائيا كانت الامية متفشية فيه وكان عدد الكاتبين قليلا ، وخطوطهم الى الرداءة أميل ، أما المدن التي بلغت شأوا في الحضارة فان نسبة الكاتبين فيها كبيرة ، وخطوطهم تميل الى الجودة .

بعد أن استعرضنا الاراء التي قيلت في نظرية التوقيف نجد أنها آراء لا تقوم على حقيقة علمية ثابتة بل تقوم على التأويل والروايات الاخبارية التي كانت شائعة في ذلك الزمان ومن التخمين الذي يعتبر أن الخط من الامور الجبارة التي لا يمكن أن يدركها انسان مهما أوتي من قوة ، ولهذا أرجعوها الى الله سبحانه وتعالى .

٢ ـ النظرية الحميرية : كان لهذه النظرية أنصار من الباحثين القدماء والمحدثين فأما القدماء فعلى رأسهم ابن خلدون وأما المحدثون ففي مقدمتهم حفني ناصف وناجي زين الدين ، ويجدر بنا ان نتناول آراءهم وما استندوا عليه من حجج ونناقشها مناقشة علمية علنا نصل فيها اكثر قربا من الادلة العلمية الثابتة .

أما ابن خلدون فيقول : " ان الخط العربي الحميري كان بالغا غالغة من الاحكام والاتقان والجودة في دولة التبابعة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وان الجيرة أخذته من اليمن ، وفي الحيرة تعلمه سفيان بن أمية هذا الخط من أسلم بن سدرة " (٢) .

واذا أمعنا النظر في النص السابق وجدنا أن ابن خلدون كعادته دائما يرجع كل شيء الى التمدن والتحضر ، فقد رأى الدول التي تناوبت على اليمن من معينية وسبأية وحميرية ، وعرف حضارة اليمن ، وما وصلت اليه من ازدهار في ظل هذه الدول

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤١٨ ، ط: القاهرة ١٩٣٠ م.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤١٨ طبعة القاهرة ١٩٣٠ م.

نرجح أن السند (الخط) الحميري انتقل الى الحيرة مع القبائل اليمنية التي كانت تتوى عليها بعد انهيار سد مأرب ، وقد ساهمت هذه القبائل مساهمة فعالة في تكوين دولة المناذرة اللخميين في الحيرة ، وأصبحت مركزا حضاريا مرموقا في العراق ، من أجل ذلك اعتبرها مركزا ثانيا للخط الحميري في انتقاله الى وسط شبه الجزيرة العربية عامة والحجاز خاصة الذي كان يتلقى حضارة من اليمن والحيرة .

ولقد لمس ابن خلدون او تأمل أن الحجاز كان مركزا حضاريا لا بأس به في ذلك الوقت فاشتغال بعض سكانه بالتجارة بين اليمن والشام ، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : لا يلف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف" فكانت رحلة الشتاء الى اليمن ورحلة الصيف الى الشام ونحن نعلم ان التجارة تحتاج الى معرفة ودراية بالكتابات والمراسلات والاتصالات ، وهذه الامور تجعلنا نرجح أن بعض القرشيين كانوا على علم بالقراءة والكتابة .

اذن فاشتغال بعضهم بالتجارة ومعرفة نفر منهم القراءة والكتابة تجعلنا نرى أنهم كانوا على قدر من الحضارة لا بأس بها .

كذلك لاحظنا أن ابن خلدون يرى أن الحجازيين أخذوا السند الحميري عن طريق الحيرة مع أنهم كانوا أقرب لليمن من الحيرة ، وصلتهم التجارية باليمن كانت أوثق من صلتهم التجارية بالحيرة ، فلو جارينا ابن خلدون فيما ذهب اليه لرأينا أن الحجازيين أخذوا السند الحميري عن طريق اليمن مباشرة دون وساطة الحميريين أو غيرهم .

أما حفني ناصف فيقول : " ان النبط خالطوا اليمنيين وجاوروهم ، كما جاوروا بعض طوائف الآرام ، ودخلوا تحت حكم اليمنيين في بعض العصور ، وكان لهم في أيام دولتهم علاقات تجارية مع أهل اليمن تقتضي معادلة الكتابة بين الفريقين ، كما كان لليمنيين حضارة تستحق الاقتباس فيعهد مع كل هذا أن يترك النبط خط اليمنيين بالسرة ، ويقتصروا على الاخذ من الارام وحدهم ، ثم ينهى كلامه قائلا : ان الروايات المتضافرة والكلمة المتفقة هي أن الخط جاء الحجاز من اليمن فصادرة كل هذه الروايات ، والذهاب الى أنه لم يجيء الى الحجاز الا من بعض طوائف الارام دون أهل

اليمن معادية للتاريخ ، وجحود للاجماع ولا يجحد النقل ما لم يدفعه عقل[1] .

واذا نظرنا الى كلام حفني ناصف وجدناه يشتمل على ناحيتين الاولى ارجاع الخط الحجازي الى الخط النبطي ، والثانية ارجاع الخط النبطي الى المسند اليمني ، أما ارجاع الخط الحجازي الى الخط النبطي فهو يتفق مع ما رآه بعض العلماء والباحثين المحدثين ، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل عند حديثنا عن النظرية النبطية ان شاء الله .

أما ارجاع الخط النبطي الى المسند الحميري فهو رأي يعوزه الدليل العلمي الذي يدعمه ويشد أزره بل لقد اثبتت معظم الدراسات العلمية المقارنة ما يناقض هذا الرأي ، ويدفع ببطلانه ، وما أثبتته ان حروف المسند كلها منفصلة بينما معظم الحروف النبطية متصلة ، ومنها ايضا أن حروف المسند تكتب من أعلى الى أسفل ، أو بطريقة حلزونية في حين أن الحروف النبطية تكتب من اليمين الى اليسار ، ومنها كذلك ان حروف المسند ليس بينها وبين حروف الخط النبطي أدنى تشابه .

أما ناجي زين الدين فيقول : " من الواضح أن وجود هذه الكتابات في الانحاء المتاخمة للعراق لما يدعم أقوال العرب في خطهم الجزم الذي قيل : انه مجزوم من قلم المسند بتحوير رسوم حروفه المفردة او تسويتها ووصلها وفصلها كما جاء في أمهات الكتب العربية التي أجمعت على أن بطء حركة يد الكاتب ، وأما أسلم فصل ووصل وذلك لان المشابهة موجودة في أربعة عشر حرفا من حروف المسند "[2] .

اذا نظرنا الى النص السابق وجدنا أن زين الدين يثير عددا من القضايا لنا عليها وجهات نظر ومنها ما يأتي :

---

(١) حفني ناصف : حياة اللغة العربية ، ص ٧٠ ، مطبعة مصر ١٩١٠م .

(٢) ناجي زين الدين : صور الخط العربي ٢٦٨ ، ط : بيروت الثانية ١٩٧٤م .

١ ــ وجود كتابات في الاحياء المتاخمة للعراق • فالرجوع الى عنزرسد المتاخم للعراق وجدناه نقشا يحمل كل الخصائص النبطية ويبتعد تماما عن الخط الحميري • وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن النظرية الحميرية •

٢ ــ الخط الجزم جزيم من قلم المسند • وها هي ذي المصادر تقرر أن الخط الجزم خط اسلامي نشأ بعد تأسيس الكوفة في عهد عمر بن الخطاب فوليس خطا جاهليا •

٣ ــ أجمعت الكتب العربية على أن مرامر بن مرة وضع الصور • وأما أسلم فضل ووصل • ان الكتب التي ذكرت فيها هذه الرواية هي كتب الرواة والاخباريين فأصحابها يجهلون معرفة الخطوط السابقة على الخط العربي الحجازي • ولا يعرفون الادلة العلمية الصحيحة • ولهذا أوردوا الروايات الضعيفة وسوف نناقش ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن النظرية الحميرية •

٤ ــ الشابهة الموجودة في الاربعة عشر حرفا بين الخط العربي والمسند ليس لها سند من واقع يؤيدها • وها نحن أولا نضع بين يدي القارئ صور بعض حروف المسند والخط العربي ليحكم بنفسه عليها ويقرر ان كانت هناك شابهة أم لا •

المسند الحميري							
الخط العربي	أ	د	ز	ى	م	ع	ق	ص

ان الناظر لحروف هذين الخطين يرى أنها لا تتشابه قط •

بعد أن استعرضنا كل الاراء التي قيلت في الدعوة لهذه النظرية وتأييدها وناقشناها مناقشة علمية مستفيضة توضح لنا بما لا يدع مجالا للشك أن هذه النظرية ضعيفة • ولا تستند على أدلة علمية صحيحة • أو وثائق تاريخية يعتد بها • اذن فالخط العربي الحجازي لم يؤخذ من المسند الحميري بأي وجه من الوجوه •

٣ - مدرسة الحيرة : يرى الاخباريون العرب القدماء (١) وعلى رأسهم الصولي والبلاذري (٢) وابن النديم (٣) وابن عبدربه (٤) والسجستاني والقلقشندي (٥) (٦) (٧) " أنه اجتمع ثلاثة نفر من طيء بيقعه (٨) وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، وأن مرامر بن جدرة وضع الاعجام ، فتعلمه منهم قوم من أهل الانبار (٩) وكان (أبوقيس) بن عبدمناف) أو بشر بن عبدالملك أخو اكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل يأتي الحيرة فيقيم فيها الحين ، وكان نصرانيا فتعلم بشر الخط من اهل الحيرة ، ثم أتى مكة فى بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبدشمس (أبو قيس بن عبدمناف) ، فسأله أن يعلمها الهجاء ، فأراها الخط فكتبا ثم فارقهما بشر ، ومضى الى ديار مضر فتعلم الخط منه حرب بن أمية بن عبدشمس ابو الكاتب ، ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط ناس هناك .

وواصل هؤلاء الاخباريون حديثهم عن نشأة الخط العربي فأوردوا رواية أخرى قالوا فيها : ان أول من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزلوا فى عدنان بن أد وأسماؤهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتاب العربي على أسمائهم ووجدوا حروفا ليست من أسمائهم وهي الثاء والخاء والذال والظاء والغين فسموها بالروادف ، وهؤلاء ملوك مدين (١٠) وكان مهلكهم يوم الظلة فى زمن شعيب عليه السلام (١١) .

---

(١) الصولي : أدب الكاتب ١/ ٣٠ ـ ط٠ القاهرة : ١٩٢٢م .
(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٣/ ٥٧٩ ط: دار النهضة المصرية .
(٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٢ ، مطبعة التجارية الكبرى بمصر .
(٤) ابن عبدربه : العقد الفريد ٤/ ٢١٢ ط : القاهرة ١٩٥٢ م .
(٥) السجستاني : كتاب المصاحف ص ٥ ط : القاهرة ١٩٣٦م .
(٦) القلقشندي : صبح الاعشى ٣/ ١ ط ، القاهرة
(٧) بقعة : موضع بالقرب من الحيرة فتوح البلدان ١/ ٧٠٢ .
(٨) الانبار : موضع بالقرب من الحيرة ايضا فتوح البلدان ١/ ٥٣٠
(٩) انفرد ابن النديم دون غيره من الاخباريين بذكر ابن قيس بدلا من بشر أما بقيتهم فذكروه مع سفيان بن أميه ناقلا الخط عن بشر بن عبدالملك .
(١٠) مدين : على بحر القلزم حجازية لتوك فيها البئر التى استقى منها موسى ماشية شعيب .
(١١) شعيب نبي ، ان الانبياء كان يعيش ما بين القرنين السادس عشر والخامس عشر ق م .

وأما الباحثون المحدثون فبعضهم جارى الاخباريين العرب القدماء فيما ذهبوا اليه ، وضمهم الدكتور السيد عبد العزيز سالم (١) والدكتور على حسن الخربوطلى والاستاذ خليل يحيى نامى ، ولاحظوا أن الخط العربى الحجازى نشأ من الخط الحيرى وبعضهم الاخر عارض هؤلاء الاخباريين العرب فيما ذهبوا اليه ، وضمهم الدكتور خليل يحيى نامى ، والدكتور ابراهيم جمعة والدكتور جواد على وغيرهم ، وتناولوا الرواية السابقة التى أوردها هؤلاء الاخباريون بالنقد والتحليل مستخدمين فى ذلك قواعد البحث العلمى القائمة على دراسة النقوش وتحليل خطوطها ، وبعد فراغهم من تلك الدراسة أعلنوا رفضهم لتلك النظرية بناء ذلك الرفض على عدد من الاسباب نذكر أهمها فيما يأتى :

١ ــ ان قبيلة طىء لم تكن القبيلة الوحيدة المستقرة فى العراق فى ذلك الوقت ، وانما كانت مثل غيرها من سائر القبائل تتنقل حيث الكلأ والماء فاختيارها لهذا الدور ليس مبنيا على أساس علمى صحيح .

٢ ــ قصر عدد الاشخاص الذين اختيروا لهذه المهمة على ثلاثة نفر فيه نوع من الاغراب ، فكيف يقوم هؤلاء الاشخاص الثلاثة بمهمة شاقة ، وهى تعليم الخط العربى فى شتى ارجاء الجزيرة العربية ؟

٣ ــ جعل أسماء هؤلاء النفر على هذا الوزن وتلك القافية يثير نوعا من التساؤل ، هل حدث هذا صدفة أم اتفاقا أم صيغت هذه الاسماء على هذا النحو ليحسن وقعها على الاسماع فتظهر بمظهر الحقيقة ؟ (٢) .

٤ ــ لم يشر هؤلاء الاخباريون الى التاريخ الذى بدأ فيه هؤلاء النفر فى تعليم الخط العربى لبعض سكان الجزيرة العربية ، فترك هذا التاريخ يضعف هذه الرواية

---

(١) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٩١ــ١٩٢ ، ط٠ الاسكندرية ١٩٧٢ .

(٢) الدكتور خليل يحيى نامى : أصل الخط العربى ــ مجلة كلية الاداب ، المجلد الثالث ج ١ ص ٤ ، ١٩٣٥ م .

ويعطينا دليلا قويا على أنها لم تعتمد على جانب من جوانب الواقع[1] .

٥ ـ تذكر هذه الرواية أن عامر بن جدرة قد قام بوضع الاعجام " وقد ثبت بالدليل العلمي الذي لا يتطرق اليه الشك أن الاعجام لم يبدأ الا في العصر الاسلامي[2] .

٦ ـ جعلت هذه الرواية من بشر بن عبد الملك بطلا أسطوريا قام بتعليم الخط العربي لبني أمية بمصر والشام . وهل في وسع رجل ـ مهما كانت قوته ـ أن يقوم بمثل هذا العمل الشاق في طول شبه الجزيرة العربية وعرضها ، وخاصة اذا علمنا أن بشرا كان أميرا ، والامراء عادة يكلفون غيرهم أداء الاعمال الشاقة ، ويكتفون هم بالاشراف والتوجيه .

٧ ـ ومما يزيد هذه الرواية ضعفا أن الاخباريين لم يجمعوا على شخصية بشر ، فقد اختار ابن النديم شخصية أخرى " هي : أبو قيس بن عبد مناف وجعله مكان بشر وقائما بدوره ، أما بقية الرواة فجعلوا أبا قيس ناقلا عن بشر وليس بدلا عنه[3] .

٨ ـ يقول هؤلاء الرواة ان بشرا علم سفيان بن حرب وعمرو بن زرارة الخط ، " وهذا معناه ـ في زعمهم ـ أن تعليم الخط في الحجاز بدأ في أواخر القرن الخامس الميلادي[4] " مع أن النقوش النبطية أقدم من ذلك بكثير وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن النظرية النبطية .

أما الرواية الثانية التي أوردها هؤلاء الاخباريون العرب القدماء وقالوا فيها : ان واضعي الخط العربي هم أبجد وهوز وحطي ... فهي رواية هشة لا تعتمد على دليل علمي أو نص يشد أزرها ، لان هؤلاء الاخباريين لم يكتفوا بأن جعلوا التركيب

---

(١) احمد احمد يوسف : الخط العربي وأساليبه في خدمة الحياة العامة ص ٦٨ ط. القاهرة : ١٩٦٨ .

(٢) خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ، ص ٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٣ .

(٤) عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن الكريم ص ٦٤ ، طبعة دار الكتاب العربي ، بالقاهرة ١٩٦٢ م .

الاجنبي الذي كان معمولا به عند السريان واليهود والعرب في صدر الاسلام أسماء لاسماء بعض الملوك بل جعلوا هؤلاء الملوك يقومون بمهمة علمية في الجزيرة العربية وهي تعليم الناس القراءة والكتابة ، مع أن الملوك في كل عصر وزمن يهتمون في النظم الاولى بالسياسة وتدعيم أواصر الملك . ومما يزيد هذه الرواية ضعفا اعتمادها على التنقيط فيما ورد فيها من أسماء ، " والتنقيط لم يظهر الا في العصر الاسلامي "(١) .

ومن الجدير بالذكر في مثل هذا المقام أن الباحثين والمنقبين عن الاثار والنقوش الكتابية لم يعثروا حتى الان على أي نموذج من الخط الحيري السرياني في الحجاز او في أي مكان قريب منه يؤيد اشتقاق الخط العربي الحجازي من الخط الحيري السرياني .

بعد أن استعرضنا روايتي الاخباريين العرب القدماء ، ومناقشة بعض علماء النقوش الكتابية لهما مناقشة تحليلية دقيقة تفند ما ورد فيهما من مزاعم ، فليس في وسعنا الا أن نسلم بما سلم به هؤلاء العلماء ، وهو رفض اشتقاق الخط العربي الحجازي من الخط الحيري السرياني .

٤ ـ النظرية النبطية : لم يقتنع بعض الباحثين المحدثين بواحدة من النظريات الثلاث السابقة فأخذوا يبحثون عن بديل لها يرونه قريبا من الحقيقة ، وفي أثناء بحثهم تشعبت بهم الطرق ، وتعددت بهم المسالك ، وتشعبوا الى شعب تجمعت بعد حين في فريقين رئيسيين ، أما الفريق الاول فأخذوا يفتشون في المصادر التاريخية المؤثوق بها ، ويستقرئون صفحاتها علهم يجدون بين جنباتها رأيا يشفي غليلهم ، وأما الفريق الاخر فيمموا وجوههم شطر النقوش الكتابية التي تمكن المنقبون من الاثار من اكتشافها ، وحاول علماء الاثار قراءتها ، فأخذوا يقرؤونها بامعان وتريث ، ويقارنون بين نقوشها علهم يجدون فيها ضالتهم المنشودة .

---

(١) خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ص ٥ .

" وقد تمكن كلا الفريقين من الوصول الى رأي ساهمت مساهمة فعالة في الوصول الى نتيجة تقترب من الصواب وتدنو من الحقيقة . وهي أن الخط العربي الحجازي منحدر من الخط النبطي . وها نحن أولا نستعرض الآراء التي توصل اليها كلا الفريقين (١) لنرى الى أي مدى كانت مساهمة سببا رئيسيا في الوصول الى تلك النتيجة . أما الفريق الاول فقد نصب أعينهم المصادر التي تعتمد على الوثائق والآثار اكثر من اعتمادها على الرواية والرواة وبعد قراءتها وتمحيصها وجدوا أن الانباط قوم من جملة العرب هاجروا من قلب الجزيرة العربية الى مشارف العراق ، وظلوا فترة من الزمن يعتمدون في حياتهم على الرعي ثم أخذوا يميلون الى الاستقرار ، ويتعلمون الزراعة تدريجيا من سكان تلك المشارف ، وما أن تم لهم ذلك حتى أغاروا في بداية القرن السابع قبل الميلاد على ما جاورهم من الاراضي الزراعية ، وزاحموا سكانها فيها ." وحذقوا الزراعة حتى لفتوا انظار الاشوريين اليهم فبعد أن كانوا يسمونهم الاعراب سموهم الانباط لاستنباطهم ما يخرج من باطن الارض (٢) .

" وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد هاجر الانباط من العراق الى جنوب بلاد الشام ، وسواحل البحر الاحمر الشمالية والشرقية ، واستقروا هناك بعد أن تمكنوا من القضاء على دولة الادوميين (٣) .

ثم أغاروا على الاراميين ، وتحضروا بحضارتهم ، " وان كانوا قد تعلموا اللغة الارامية والخط الارامي واستعملوها في مكاتباتهم الرسمية الا أنهم ظلوا يتكلمون اللغة العربية ، ويستعملونها في أحاديثهم اليومية (٤) " .

" وقد اتسعت دولتهم فشملت حوران والبتراء (٥) وسيناء في الشام وتبوك والعلا والحجر (مدائن صالح) في شمال الحجاز " .

---

(١) الهمذاني : الاكليل ، ط ليدن ١/٣٤ .
(٢) آذرتاش آذرنوش : راهنماى تفوذ فارسى درفرهنگ وزبان تازى (پيش از اسلام) تهران ٤ ، ١٣٥ .
(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ١/١٠٤
(٤) خليل ناصيف : أصل الخط العربي ص ٧
(٥) ابراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ١٧ القاهرة ١٩٦٩م .

وان كان الروم قد تمكنوا في سنة ٢٢٣ م من القضاء على نفوذ الانباط السياسي الا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على نفوذهم الثقافي ، فظلت لغتهم تنمو وتتطور ، وخطهم ينحو نحو الكالحتي اشتق الخط العربي منه .

ومن الجدير بالذكر أن الانباط اختلطوا بعرب الحجاز اختلاطا يكاد يكون كاملا ، وكونوا معهم علاقات تجارية واجتماعية ودينية أما العلاقات التجارية فكان للانباط في المدينة المنورة سوق يفدون اليها فيبيعون فيها حاصلاتهم ويشترون منها ما يحتاجون اليه ، وكان الحجازيون يذهبون الى بلاد الانباط وهم في طريقهم الى الشام فيبيعون لهم ويشترون منهم (١) .

وكذلك طرق التجارة الممتد من اليمن جنوبا حتى سواحل البحر الابيض المتوسط شمالا والذي يمر بمكة ويثرب والعلا والحجر (مدائن صالح) وسلع كان أقرب الطرق وأسهلها ، ولذلك كثر ارتياد الحجازيين له نحو الشمال وتجوال الانباط فيه نحو الجنوب مما أزاد العلاقات التجارية وغيرها توثيقا بينهما .

وأما العلاقات الاجتماعية فتبدو واضحة جلية فيما بينهما من تشابه في العادات والتقاليد والاسماء وقد تمكن بعض الباحثين من استخراج اسماء كثيرة من الكتابات النبطية يتفق والاسماء العربية ، مثل : أسد وأوس وبكر وحنظلة وحارثة وجذيمة وامرؤ القيس وغيرها وأكثرها وردت في عربية القرآن الكريم ، ومشاركة الانباط لبقية العرب في هذه الاسماء ليس من قبيل الصدفة او الجوار فحسب بل من قبيل وحدة العرق والاشتراك العنصري في كثير من الخصائص " (٢) .

وأما العلاقات الدينية فتظهر بوضوح " في اشتراك الانباط والحجازيين في عبادة آلهة بعينها ، مثل : ذو الشرى ، واللات ، ومناة ، وهبل ، والعزى وغيرها " (٣) .

---

(١) ابراهيم جمعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، ص١٢ ، القاهرة ١٩٦٩ .
(٢) اسرائيل ولفنسون : تاريخ الشعوب السامية ، ص١٣٥ ، القاهرة ١٩٥٠م .
(٣) خليل ناصي : اصل الخط العربي ص ١٠٥ .

ثم ازدادت هذه العلاقات توثيقا في القرن الخامس الميلادي عندما انتقلت السيادة الروحية الى مكة وأصبح لها نفوذ ديني على معظم القبائل العربية في شتى أرجاء الجزيرة العربية وما حاولها مثل الانباط وغيرهم " فأخذت معظم القبائل العربية ومنها الانباط يحجون الى مكة للطواف حول كعبتها ، التمسح بأصنامها والاقامة بين جنباتها والاختلاط بسكانها فمفاهم هذا كله ساهمت فعالة في توثيق عرى المحبة والصداقة والمودة بين عرب الانباط وعرب الحجاز (١) .

يتضح لنا مما سبق أن الانباط عرب خلص لم تنقطع صلتهم باخوانهم في الجزيرة العربية ، وخاصة بعد أن استقروا في جنوب بلاد الشام وكونوا دولة هناك اشتملت على الجزء الشمالي من الحجاز ، وارتبطوا باخوانهم الحجازيين بروابط اجتماعية ودينية وتجارية كان لها أبعد الاثر في احتفاظهم بلغتهم العربية .

أما الفريق الاخر فيمموا وجوههم شطر النقوش الكتابية ، وأخذوا يبحثون فيها في المناطق العربية والاجنبية وبعد جهد جهيد وسعي حثيث لم يجدوا الا أربعة نقوش وهي كما يأتي :

١ ـ نقش أم الجمال ، وهي من اعمال حوران احدى مدن الانباط ، والنقش غير مؤرخ ولهذا قدر المستشرق دي فوجيه De Vogue تاريخه بسنة ٢٧٠م .

٢ ـ نقش النمارة وهي من اعمال حوران أيضا ، وقد أرخ الكاتب النبطي النقش بسنة ٢٢٣ من التاريخ السلمي الذي يبدأ بسنة ١٠٥ ميلادية وهي تاريخ سقوط دولة الانباط على يد الرومان ، ولهذا يرجع تاريخ النقش الى سنة ٣٢٨م .

٣ ـ نقش زبد وهي مكان غربي قنسرين وشمال الفرات ، ويرجع تاريخ النقش الى سنة ٥١١ م وهو مكتوب بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية .

---

(١) خليل ناص : اصول الخط العربي ١٠٤

٤ ـ نقش حـران" وقد وجد مكتوبا على باب كنيسة بتلك المدينة ، وهى تقع فى المنطقة الشمالية من جبل الدروز ، والنقش مكتوب بالنبوطية والعربية وهو مـؤرخ بسنة ٤٦٣ من التاريخ السلمى الذى يوافق ٥٦٨ م " .(١)

ثم انقسم أفراد هذا الفريق الى شعبتين احداهما فى علم الخط المقـارن ، والاخرى فى علم اللغة المقارن ، أما علماء الشعبة الاولى فأخذوا يبحثون عن أصـل الخط النبطى ثم بدأوا يتتبعون خطوط تلك النقوش ليروا مدى التقدم الذى حدث فيها ، وأما علماء الشعبة الاخرى فقد أخذوا يدققون النظر فى كل كلمة من كلمات تلك النقوش ليروا اللغة الرئيسية التى كتبت بها والكلمات الاجنبية الموجودة فيها ، ومدى تطـور تلك اللغة الرئيسية من نقش الى نقش ، وما بها من ظواهر اعرابية والتزام كاتبها بقواعد النحو والصـرف .

وجد علماء الخط المقارن أن عمال الفيروز فى شبه جزيرة سيناء كانوا فى منتصـف القرن التاسع عشر قبل الميلاد يأخذون من اللغة الهيروغليفية (٢) المصرية الرمز الـذى يدل شكله على رأس ثور بغض النظر عما يعنى رأس الثور فى اللغة الهيروغليفيـة المصرية ـ وأطلقوا عليه اسم " الف " ثم استعملوا هذا الرمز ليدل على الصوت " ا " وفق قواعد الاكروفونية التى تخص باعطاء الرمز قيمة صوتية لاول حرف يلفظ به من اسمه فبالطريقة نفسها أطلقوا على الرمز الذى يدل على " البيت " حرف " باء " واستعملوا للدلالـة على الصوت " ب " وهكذا فى بقية الحروف " .(٣)

ثم انتقل هذا الخط الى المعينيين فى جنوب شبه الجزيرة العربية والى الفينيقيين فى شمال الشام ، فأما المعينيون فأخذوا هذا الخط من الصينائيين عندما كونوا معهم علاقات تجارية ، ثم تمكنوا فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد من اشغال المنـد شـه

---

(١) بهار : صبح سنا ص ١٢/١ ط ٢ جـ ٢٥٣٥ شاهنشاهى .

(٢) كان المصريون فى أول أمرهم يستخدمون الكتابة الصورية ، ثم اختزلوها وأولـدوا منها الكتابة الهيروغليفيـة .

(3) Encyclopaedia Britanica Vol_1.p. 282, London.

والذى يتألف من ٢٩ تسعة وعشرين حرفا كلها منفصلة ليس عليها حركات مثل الفتحة والضمة والكسرة والتشديد لضبط الكلمات بالشكل ، وكانت كتابتهم تتبع طريقة حلزونية فى كثير من الاحيان فيبدأون الكتابة من اليمين الى اليسار أو بالعكس ، ثم يستمر الكاتب فى كتابته دون انقطاع من البداية حتى النهاية أو من أعلى الى أسفل .

وقد نشر المعينيون والسبئيون والحميريون المسند فى شبه الجزيرة العربية وتطور على أيدى قبائلهم الذين هاجروا الى الشمال الى مجموعة من الخطوط منها الخط اللحيانى والخط الثمودى والخط الصفوى وتطور كذلك فى الساحل الافريقى المقابل لليمن الى الخط الجعزى الحبشى ، وعندما ضعف الحميريون أخذ المسند يحتضر من شمال شبه الجزيرة ووسطها لارتباطه بالنفوذ السياسى لدول الجنوب ، ولصعوبة استخدامه من الناحية العملية وانحصار حرفه فى الكتابة .

وأما الفينيقيون فقد أخذوا الخط من المصريين فى بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما كونوا علاقات تجاريتهم ، وطوروا هذا الخط حتى غدا مستقلا تقريبا وجعلوه اثنين وعشرين حرفا .

ثم أخذ الآراميون عن الفينيقيين ذلك الخط فى القرن التاسع قبل الميلاد ، وطوروه ايضا ثم أخذه عن الاراميين بقية الشعوب السامية مثل الانباط والسريانيين والعبرانيين وغيرهم .

والذى يهمنا فى هذا المجال هو الخط النبطى ، فقد أخذ الانباط الخط الارامى فى بداية القرن الثانى قبل الميلاد ، ثم أخذوا يطورونه منذ القرن الاول قبل الميلاد حتى غدا فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين خطا نبطيا مستحدثا آراميا (١) .

---

(١) خليل نامى : أصل الخط العربى ص ٦٩ .

" ثم تحول هذا الخط في مطلع القرن الرابع الميلادي الى الخط النبطي الى النص الذي ظهر في الكتابة النبطية التي استعملت في نقش النمارة المؤرخ بعام ٣٢٨م "(١) .

ثم أخذ الخط النبطي ينمو ويتطور خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين حتى غدا متميز الخصائص في نقش زبد الذي نقش في سنة ٥١١م ، " والذي يمكننا على ضوئه أن نحل مشكلة نشأة الخط العربي خاصة وأن هذا النقش كتب في عهد ليس ببعيد عن ظهور الاسلام "(٢) .

وأما النقش الرابع والاخير فكان اكثر النقوش السابقة قربا الى الخط العربي لان الناظر اليه يرى حروفه قد ارتبط كل حرف منها بالاخر في الكلمة الواحدة ما عدا الحروف التي لا ترتبط بما بعدها مثل الدال والذال والراء والزاي والواو وغيرها وكذلك طلت تاء التأنيث المتطرفة مفتوحة دائما .

بعد أن استعرضنا آراء شعبة علم الخط المقارن وضح لنا بجلاء تام أن خطوط هذه النقوش أخذت تتطور من قرن الى قرن حتى بلغت مرحلة الكمال في النقش الرابع والاخير ، وان الناظر اليه يدرك ادراكا كاملا انه لا يفترق في شيء عن الخط العربي الذي يمثله مصحف عثمان رضي الله عنه باعتباره أقدم الخطوط العربية التي وصلت الينا حتى الان .

وأما علماء الشعبة الاخرى فقد أخذوا ينظرون بدقة وامعان الى كل كلمة من كلمات هذه النقوش ، فوجدوا أن كلماتها باللغة الارامية أو غيرها ، وبعض كلماتها بلغة الانباط العربية التي يشبه اكثر كلماتها كلمات لغة الحجاز ، " ففيها ما يدل على أسماء الملوك والزعماء مثل جذيمة وزيد الخيل ، ومنها ما يشير الى أسماء القبائل مثل نزار وبعد وأسد ومذحج ، ومنها ما يدل على أسماء الاماكن مثل : خيبر ونجران وغيرهما "(٣) .

---

(١) خليل يحيى نامي : أصل الخط العربي ٢١

(٢) اسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩٦ .

(٣) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢١٢/٧ .

ومنها ما يتناول شئون الحياة مثل : جاء ، ورهن ، باع ، وكل ، وقبر ، وتاج ، وسنة ، وهلم جرا (١) .

وقد وجد هؤلاء العلماء أن كلا اللغتين تتشابهان في كثير من أبوابهما فمنها الاسماء الموصولة مثل : " جاء من يعلم " ومنها الاضافة بالاضافة اليه مثل تم الله ، ومنها الاسماء المعرفة والمنونة من الصرف مثل : عمرو وعمر " (٢) " ومنها التعريف بـ " ال " التي جاءت في العربية الفصحى ولم يعثر عليها في اللهجات العربية الاخرى مثل الثمودية والصفوية واللحيانية والسد حيث كانت جميعها تستخدم الهاء أداة للتعريف مثل الاسدين " (٣) " ومنها التاء للترتيب مع التعقيب ، مثل : جاء بنوه تباعا (٤) .

اذا نظرنا الى الآراء التي ذكرها علماء هذه الشعبة وجدناها آراء سديدة أساطين اللثام من أشياء كثيرة لم يتمكن الباحثون السابقون من اكتشافها فقد أوضحت لنا مدى التشابه الموجود في اللغة والنحو بين اللغتين النبطية والحجازية .

بعد أن ذكرنا اراء العلماء والباحثين واللغويين في النظرية النبطية وجدنا أنهم اعتمدوا اعتمادا كليا على المصادر الاصيلة المبنية على الوثائق والنقوش التي استخرجت من باطن الارض في تكوين آرائهم التي توصلوا بها في النهاية الى هذه النتيجة الحاسمة وهي أن الخط العربي الحجازي مشتق من الخط النبطي ، وهذه النظرية أرجح النظريات الاربع التي قيلت لانها تسير على أسس المنهج العلمي الحديث القائم على الاستقراء للوصول الى النتائج .

---

(١) فليب حتي : تاريخ العرب المطول ٢/١٠ مطبعة دار الكشاف بيروت ١٩٦١م .
(٢) صالح احمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص٤٤ بغداد ١٩٦٠ .
(٣) سيد حنفي حسنين : الشعر الجاهلي مراحله وتطور اتجاهاته ص ١٥ . الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة ، ١٩٧١م .
(٤) خليل نامي : أصل الخط العربي ص ٩ .

بعد أن استعرضنا الافكار الرئيسية لنشأة اللغة العربية والخط العربي ، وذكرنا آراء العلماء والباحثين والمؤرخين في كل فكرة منها ، والنتائج التي توصلوا اليها ظهر لنا أن اللغة العربية ظاهرة اجتماعية نشأت عن حاجة الانسان الى الاجتماع بغيره للتفاهم وتبادل الآراء ، وأنها أقدم صورة حية من اللغات السامية الام التي تفرعت منها ، وأن لهجة قريش كانت النواة الاولى للغة العربية الفصحى ، وأن هذه اللهجة قد بلغت أوج كمالها عندما نزل القرآن الكريم بها ، وأن الخط العربي الحجازي مشتق من الخط النبطي ، لان عرب الحجاز وعرب الانباط كانت تربط بينهما صلات كبيرة .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

(١) ابراهيم جمعة (دكتور) : دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الاحجار فى مصر فى القرون الخمسة الاولى للهجرة - طبعة دار الفكر العربى القاهرة ١٩٦٩ .

(٢) ابن جنى . (أبو الفتح عثمان بن جنى) الخصائص تحقيق محمد على النجار دار الكتب المصرية مطبعة القاهرة ١٩٥٦م.

(٣) ابن خلدون (ابو زيد ولى الدين عبدالرحمن بن محمد) : المقدمة ، مطبعة القاهرة ١٩٣٠م .

(٤) ابن سيدة : المخصص المطبعة الميرية بالقاهرة ١٣١٦هـ .

(٥) ابن عبدربه (احمد بن محمد الاندلسى) العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان المطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٢م.

(٦) ابن فارس (احمد بن فارس) الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٥٢ .

(٧) ابن النديم (محمد بن اسحق) الفهرست المطبعة التجارية الكبرى بمصر

(٨) البلاذرى (احمد بن يحيى بن جابر) فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبعة دار النهضة المصرية بالقاهرة .

(٩) احمد احمد يوسف : الخط العربى وأساليبه فى خدمة الحياة العامة ، مطبعة دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨م .

(١٠) اسرائيل ولفنسون (دكتور) : تاريخ اللغات السامية مطبعة القاهرة ١٩٥٠م

(١١) جواد على (دكتور) المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، مكتبة النهضة ببغداد ١٩٧٦م.

(١٢) جورجي زيدان : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، ط٠ القاهرة ١٩٤٠م٠

(١٣) حفني ناصف : حياة اللغة العربية ، ط٠ مصر ١٩١٠ م٠

(١٤) خليل يحيى نامي (دكتور) : اصل الخط العربي وتاريخ تطوره الى عصر الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، المجلد الثالث ، الجزء الاول مايو ١٩٣٥م ٠

(١٥) الرافعي : (مصطفى صادق) : تاريخ آداب العرب ، ط٠ القاهرة ١٩٤٠م ٠

(١٦) السجستاني (ابو بكر عبدالله بن محمد) : كتاب المصاحف ، المطبعة الرحمانية بالقاهرة ١٩٣٦م٠

(١٧) سعيد الافغاني : اسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٦ م٠

(١٨) سيد حنفي حسنين (دكتور) : الشعر الجاهلي مراحله واتجاهاته الفنية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م

(١٩) السيوطي (عبدالرحمن بن الكمال الملقب بجلال الدين والمكنى بأبي الفضل) : الاقتراح في علم اصول النحو ، ط حيدرآباد ١٣٥٩ هـ٠

(٢٠) صالح احمد العلي (دكتور) محاضرات في تاريخ العرب ، الطبعة السادسة بغداد ١٩٦٠م٠

(٢١) الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكاتب ، المطبعة السلفية بالقاهرة : ١٩٢٢م٠

(٢٢) عبدالصبور شاهين (دكتور) تاريخ القرآن الكريم ، مطبعة دار الكتاب العربي القاهرة ١٩٦٢م٠

(٢٣) عبدالعزيز سالم (دكتور السيد) : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ١٩٧٣م٠

(٢٤) عبدالعزيز صالح (دكتور) : الشرق الادنى القديم ، الطبعة الثالثة مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م.

(٢٥) عبده الراجحي (دكتور) فقه اللغة في الكتب العربية دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤ م.

(٢٦) عصفور (دكتور محمد ابو الحاسن) : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم، دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة بيروت.

(٢٧) فيليب حتى : تاريخ العرب ترجمة الدكتور جبرائيل جبور مطبعة دار الكشاف بيروت ١٩٦١م.

(٢٨) القلقشندي (ابو العباس احمد بن علي : صبح الاعشى في صناعة الانشا ، المطبعة الاميرية : القاهرة : ١٩٤٦م.

(٢٩) ناجي زين الدين : بحوث الخط العربي مطبعة بيروت الثانية ١٩٣٤م.

(٣٠) الهمذاني (ابو محمد الحسن بن احمد) الاكليل ط ، ليدن.

(٣١) وافي (دكتور علي عبدالواحد وافي) : نشأة اللغة عند الانسان والطفل ط، القاهرة ١٩٤٢م.

(٣٢) نفس المؤلف : علم اللغة ، ط ، القاهرة ١٩٦٢م.

(٣٣) سفر التكوين.

ثانيا : المراجع الفارسية

(١) آذر تاش آذر نوش : واژه‌های نفوذ فارسی در فرهنگ زبان تازی (پیش از اسلام) تهران ١٣٥٤م.

(٢) بهار : سبك شناسي يا تصوير نثر فارسي جلد ٣ ٢٥٣٥ شاهنشاهي.

(٣) مير خواند : روضة الصفا في سيرة الانبياء والملوك والخلفا الهند حيدر آباد ١٢٦٦ هـ.

ثالثا : المراجع الاجنبيـــة :

(1) Alois Musil: Northern Negd, New York 1928.

(2) Barton, (C.A): Semitic and Hamitic Origins, Social and Religions? London, 1634.

(3) Brinton, Cradel of the semitic, Philadelphia 1890.

(4) Clay, (A.T): Amurru, The Home of the Northern Semites, Philadelphia 1909.

(5) Husayyin, (S.A), Arabia and the Far East, Cairo, 1942.

(6) Nicholson: Alitiereny History of the Arabs Vol I London 1907.

(7) Balylonian Expedition, Vol III, Philadelphia 1905.

(8) Encyclopaedia Britanica Vol, I, London.

(9) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol II, London, 1920.